

خاتم النبیین و منتقدوه

محمد محمود شعبان

استاذ اللغة العربية بجامعة كراچی

و عميد معهد القاهرة الازهری

من الامور البديهية ان البشر جميعا لم يتفقوا على خالق الكون ، فمنهم من حافظ على العهد الذى أخذ عليه من ربه ، فى قوله تعالى ” و اذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على انفسهم أأست بربكم قالوا بلى شهدنا (الاعراف : ١٧٢) ، فهو يؤمن بوحدانية الله تعالى و انه ليس له شريك فى ملكه ، و فريق سولت له نفسه . و زين له الشيطان الذى اخذ العهد على نفسه و اقسم بعزة ربه فقال ” فبعزتك لأغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين“، (ص : ٨٢) و فريق ثالث اتخذ شريكا لله من حجر أو شجر أو انسان أو حيوان فعبدها من دون الله ليقربوهم الى الله زلفى تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

ولما ارسل الله عزوجل الرسل الى الخلق ليرشدوهم الى الطريق المستقيم فقال نوح عليه السلام ”يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره“، (الاعراف : ٥٩) و قال هود عليه السلام ”يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره أفلا تتقون“، (الاعراف : ٦٥) و قال ابراهيم عليه السلام ”انى وجهت وجهى للذى فطر السموات و الارض حنيفا و ما أنا من المشركين“، (الانعام : ٧٩) و قال موسى عليه السلام : ”قال رب السموات و الارض و ما بينهما ان كنتم موقنين“، (الشعرا : ٢٤) و قال

عيسى عليه السلام "وان الله ربي و ربكم فاعبدوه" (مريم : ٣٦).

و قال محمد صلى الله عليه و سلم "قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد، (الكهف : ١١٠)

و أخذ اعداء الاسلام يشنون الغارات و يشعلون النيران و يوقظون الفتن و يرمون نبي الاسلام و خاتم النبيين بأرذل الخصال و اقيح الفعال "يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و يأبى الله الا أن يتم نوره و لو كره الكافرون، (التوبة : ٣٢)

و صدوا الشباب عن تعاليم الاسلام لانه فى اعتقادهم أصبح غير صالح لهذا الزمان فتعاليمه عفى عليها الزمن. و لا تصلح الا لاهل البدو والوبر.

إن أغلب البشر يؤمنون بالرسول و يصدقون بالانبياء فلا يحق لعبد أن يفرق بين أحد منهم لانهم جميعا صدق بعضهم بعضا و محمد عليه الصلوة والسلام صدق الجميع و شهد لهم بأنهم عباد الله و رسل الله و اتفقوا على توحيد الله :

فقال : أفضل ما قلت انا و النبيون من قبلى : لا اله الا الله : و قال الله فى القرآن "آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه و المؤمنون كل آمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرق بين أحد من رسله، (البقرة : ٢٨٥) اذن الطعن فيهم أو السب فى أحدهم او نفى ما جاؤا به لا يصدر الا من عميت بصيرته ، و طبع على قلبه ، و اتبع هواه و صداه الشيطان عن الحق و زين له عمله ،

ولنبسط بين أيدينا كتاب الله الذى نزل على موسى عليه السلام ولنقرأ الباب الثامن عشر من سفر الاستثناء ١٨ قال لى الرب نعم جميع ما قالوا . أقيم له نبيا من اخوانهم مثلك واجعل كلاسى فى فمه و يكلمهم بكل شىء أمره به و من لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فأنا اكون المنتقم من ذلك .

و قال الله تعالى : ”يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب و يعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين (سورة المائدة : ١٥) وافتحوا انجيل متى تجدوا شهادة المسيح عليه السلام حيث يقول : ”أنا ذاهب و سيأتيكم الفارقليط روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسه و يمدحنى و يشهدلى،، نعم : حقا فان محمدا عليه السلام وهو أصدق نبي حيث شهد لعيسى عليه السلام بأنه عبدالله و رسوله . و أنه ابن لمريم البتول الطاهرة . و انه ليس ابنا لله تعالى و انه ليس الها كما يدعون . كما شهد لأمه بانها طاهرة مطهرة لم تتدنس بدنس و لم ترتكب ذنبا فقال القرآن الكريم ”ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون،، (آل عمران : ٥٩) .

و قال ”انى عبدالله أتانى الكتاب و جعلنى نبيا و جعلنى مباركا اينما كنت و أوصانى بالصلاة و الزكاة ما دمت حيا . و برا بوالدتى و لم يجعلنى جبارا شقيا . و السلام على يوم ولدت و يوم أسوت و يوم أبعث حيا . ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون . ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون . و ان الله ربي و ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم،، . (مريم : ٣٠-٣٦) .

و قال ”وما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم و ان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن و ما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه،، (النساء : ١٥٧-١٥٨)

كما اثبت طهارة مريم و عفتها فقال ”و اذا قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك و طهرك و اصطفاك على نساء العالمين،، (آل عمران : ٤٣) و انظروا فى انجيل برنابا

لتروا جواب المسيح لاندراوس عند ما سأله عن علامة يعرف بها محمد الذى يسمى سسيا فى الانجيل . قال : يا معلم اذكر لنا علامة نعرفه (١٣) اجاب يسوع : انه لا يأتى فى زنىكم بل يأتى بعدكم بعدة سنين حينما يبطل انجيلى ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمنا(١٤) فى ذلك الوقت يرحم الله العالم فيرسل رسوله الذى تستقر على راسه غمامة بيضاء يعرفه أحد مختارى الله و هو سيظهر للعالم (١٥) و سيأتى بقوة عظيمة على الفجار و يبني عبادة الأصنام من العالم و أنى أسر بذلك لانه بواسطته سيعلمن و يمجده الله و يظهر صدقى و سينتقم من الذين سيقولون أنى أكبر من انسان،، .

و فى الفصل السابع و التسعين "قال الكاهن . حينئذ ما ذا يسمى سسيا ؟ و ماهى العلامة التى تعلن مجيئه ؟ (١٤) اجاب يسوع : ان اسم سسيا عجيب لأن الله نفسه سماه . لما خلق نفسه و وضعها فى بهاء سمارى (١٥) قال الله اصبر يا محمد لأنى لاجلك أريد أن أخلق الجنة و العالم و جما غفيرا من الخلائق التى أهبطها لك حتى ان من يباركك يكون مباركا و من يلعنك يكون ملعونا (١٦) و متى أرسلتك الى العالم أجعلك رسولى للخلاص و تكون كمنك صادقة،، .

ألم يتحقق قول المسيح عليه السلام فلقد اظلت الغمامة محمدا فى سفره الى الشام عندما سافر ليتاجر فى مال خديجة و رأى ذلك غلامها ميسرة . و جلس تحت الشجرة المعروفة عندكم بانه لا يجلس تحتها الا نبي كما قال نسطورا الراهب عند ما رأى محمدا قد جلس تحتها سأل عنه ميسرة فقال : ان هذه الشجرة لا يجلس تحتها الا نبي و أصدقونى بربكم هل جاء أحد بعد عيسى دعا الى الله وحده و حطم الأصنام و نها عن عبادتها الا محمد عليه السلام أليس فى ذلك دليل على بشارة عيسى بمحمد و أنه حق و صدق . و حجة على ذى بصر و قد انكر طلوع الشمس

فى وضح النهار و لم يحجبها غيم أو غبار و أنى أستحلفكم بما تؤمنون، و أسألكم
بمن تصدقون أن تظهروا ما ثبت عندكم فى تراثكم القديم لكباركم و ملوككم
و علمائكم من اعترافهم بان محمدا نبى و رسول .

فاسمعوا ما قاله هرقل عظيم الروم لما أرسل اليه محمد عليه السلام كتابا
يدعوه الى الاسلام، جمع من كان من العرب فى بلاد الشام و على رأسهم ابوسفيان
بن حرب و كان من أعدى أعداء محمد عليه السلام لكن مع ذلك لم يستطع أن
يكذب لان الكذب عار و شئار عند العرب و العقلاء من الناس . سأله هرقل عن
محمد و صفاته وما يدعو اليه فلما سمع هرقل اجابة أبى سفيان قال : فان كان ما
تقول حقا فسيملك موضع قدسى هاتين و قد كنت أعلم انه خارج لم أكن أظن
انه منكم فلو أنى أعلم أنى أخلص اليه لتجشمت لقاؤه ولو كنت عنده لغسلت
عن قدسيه .

و أن أهل الكتاب كانوا منتظرين خروج نبى فى زمن النبى محمد عليه السلام
كما أخبر عيسى عليه السلام و كما صدق بذلك هرقل .

و أضيفوا الى ما تقدم أن النجاشى سلك الحبشة و كان على دين النصرانية لما
لجأ الى مملكته بعض المهاجرين من المسلمين فرارا بدينهم خوفا من المشركين
أكرم النجاشى و فادتهم . و أحسن نزلهم . و جعلهم فى أمان من عدوهم .
ولم يسلمهم الى المشركين . و قد ارسل النبى عليه السلام كتابا يدعوه الى
الاسلام فقال : أشهد بالله أنه النبى الذى ينتظره أهل الكتاب : ثم ارسل الى
النبى صلى الله عليه وسلم كتابا يقول فيه : أشهد أنك رسول الله صادقاً و مصدقاً
و قد بايعتك و بايعت ابن عمك جعفر بن ابى طالب و أسلمت على يديه لله رب
العالمين،، .

و لما مات كشف للنبي عليه السلام عن سريره فقال لاصحابه "قوموا للصلاة على صاحبكم"، اليس ذلك ثابتا لديكم؟ فلم تنكرون؟ و أقرأوا كتاب المقوقس عظيم القبط بمصر الموجود الى الآن فى خزائن الآثار المصرية القديمة لم تعبت به ايدى العابثين و لم يحرفه المحرفون: "الى محمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك: أما بعد فقد قرأت كتابك و فهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه و قد علمت أن نبيا قد بقى و قد كنت أظن انه يخرج بالشام و قد اكرمت رسولك، و انظروا معى بعين الواقع و اسمعوا باذن واعية ما نطق به كبير القوم من النصارى الجارود بن العلاء عند ما حضر بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: والله لقد جئت بالحق و نطقت بالصدق و الذى بعثك نبيا لقد وجدت وصفك فى الانجيل و بشربك ابن البتول فطول التحية لك . و الشكر لمن اكرمك . لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين . مد يدك فانا أشهد أن لا اله الا الله و أنك محمد رسول الله . فباى حديث بعد ذلك تومنون؟

و هل على دعواكم بان محمدا كان فيلسوفا او مصروعا او كاهنا دليل قاطع و اثبات راسخ و حجة لا تقبل الظن؟ أم انه رسى بالباطل و قذف بالاثم و افتراء على الله؟

و انتم تعلمون بان الفلاسفة القدامى و المحدثين لم يكونوا أميين و محمد عليه السلام كان أسيا لم يقرأ كتابا ولم يجلس الى معلم ولم يخط حرفا لانه نشأ فى وسط أمة اسية "هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم"، ثانيا: كثير من الفلاسفة يريد من فلسفته جاها أو سلطانا او شهرة و محمد عليه السلام لم يبع شيئا من ذلك ولا أراد لنفسه .

ثالثا: كثير من الفلاسفة نشأته فاسدة و تربيته غير صالحة بعيدة عن الخلق

الحسن بل منافية لما تعارف عليه المجتمع في ايامه من آداب و لكن محمدا كما شهد له اعداؤه من قبل كان الصادق الاسين .

رابعا : ساجاء به الفيلسوف من حكمة وما سطره من رأى وما خرج به على الناس من زبدة افكاره تراه سهله الكلمات متناقض الافكار غير صالح للعمل بما جاء به حتى فى بيئته التى وجد فيها تمجده الافكار السليمة ولا تحفظه العقول الناضجة .

و لكن انظروا فى الذى نزل على محمد عليه السلام : اعجز العرب الفصحاء و أحرص البلغاء و تحدى الجن والانس . و ابهر العقول لا يشبع منه العلماء ولا تملأ الآذان ولا تمجده اللسنة بل ان له لحلاوة و ان عليه لطلاوة يحفظه فى الصدور الصغير و الكبير و الرجل والمرأة، العربى والا عجمى قال تعالى : ”انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون“، بل ان كثيرا من اهل الكتاب يجيدون حفظه مع عدم حفظهم للتوراة والانجيل أليس ذلك دليلا ساطعا و حجة قاطعة على انه صالح لكل زمان و باق فى جميع الاجيال حتى يرث الله الارض ومن عليها .

و اما ادعاؤكم بأنه كاهن او مسروع فهذه دعوى شياطينكم من رسوا محمدا عليه السلام بها لما عجزوا عن معارضته او الاتيان بمثله ألم يثبت العلم الحديث لديكم بأن الصرع انما هو مرض ينتاب الانسان فيفقد حساسه و شعوره و ادراكه فاذا افاق لايتذكر مامر به ولا ما عرض له و اين ذلك من محمد عليه الصلوة والسلام و قد قال ”فيفصم عنى و قد و عيت عنه“ .

و العرب قبل الاسلام كانوا يحترمون الكاهن و يقدمون له القرابين و يتحاكمون اليه فى مشكلاتهم ولا يشبهون سيوفهم عليه ولا يستنهم ضده . فلو كان محمد مثلهم لما كان هذا شأنه مع قومه فقد أنكروا عليه قوله و صدوه عن دعوته، و نصبوا

له العداء فى كل مكان و بهذا : قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم . (البقرة : ٢٥٦)
(يا قومنا أجيبيوا داعى الله و آمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم و يجركم من عذاب أليم) . (و اتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل أن ياتيكم العذاب بغتة و أنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتنا على ما فرطت فى جنب الله و ان كنت لمن الساخرين) .

